فيودور دوستويفسكي

السارق الشريف



ترجمة: سامي الدروبي

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:



كلمه مهمة:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الى نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق -متميزون-

انضم الى الجروب

انضم الى القناة



السارق الشريف

Tchestnyi vor

قصة مترجمة (١٨٤٨)..

الكاتب: ديستويفسكي

ترجمة: سامي الدروبي



السارق الشريف(Tchestnyi vor)

كتب دوستويفسكي هذه القصة في ربيع 1848، ونشرت في مجلة (حوليات الوطن) نيسان (أبريل) 1848، تحت عنوان (أقاصيص شيخ عابر سبيل). وكانت تضم قصتين:

1 - (الجندي المتقاعد)

2 - (السارق الشريف)

ولكن دوستويفسكي حين أعدَّ طبعة أعماله الأولى سنة 1860 حذف القصة الأولى التي لم يكن راضياً عنها ولم يبق إلا الثانية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تقديم

بقلم الدكتور سامي الدروبي

في شهر نيسان/ أبريل من العام 1848، نشر دوستويفسكي (من أقاصيص شيخ عابر سبيل)، وكان ما نشره يضم قصتين، إحداهما هي: (الجندي المتقاعد) والثانية هي: (السارق الشريف)، والقصتان كلتاهما يرويهما جندي متقاعد برتبة صف ضابط إسمه آستافي كان قد سكن عند دوستويفسكي بعض الوقت خادماً. فلما أعد دوستويفسكي لإعادة طبع أعماله سنة 1860، عدّل هذا العمل أعماله، فأسقط القصة الأولى بأسرها، وهي عن حرب العام 1812، وجعل الثانية للعمل كله.

إن دوستويفسكي يعرف كيف يتحدث باللسان البدائي البسيط الذي يتكلم به رجل من الشعب. والفكرة الأساسية في هذه القصة هي ما يتصف به إنسان بسيط من طيبة متواضعة صادقة. إن صف الضابط، الفقير هو نفسه، يؤوي في غرفته سكيراً مدمناً، هو إيمليان، ويساعده، ويعطف عليه، ويشعر نحوه بحزن شديد حين يلاحظ أن هذا السكير، الذي آواه وأطعمه، قد سرقه. ولكنه لما يتصف به من رهافة في الطبع وذوق في المعاملة لم يوجه إليه كلمة لوم واحدة.

إن هذين الإنسانين اللذين يمتازان بالشهامة والمروءة، ويفيضان عاطفة وطيبة أقرب إلى الواقع من أصحاب (القلوب الضعيفة)، ومن (الحالمين) الذين وصفهم في قصصه السابقة. إن ضابط الصف، القادر على أن يحب وعلى أن يعفو، هو (الإنسان العادل) بين أبناء الشعب الروسي في نظر دوستويفسكي. وسنقع عليه في رواية (المراهق) بسمات شخصية دولجوروكي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في ذات صباح، بينما كنت أهم أن أخرج إلى مكتبي، دخلت عليَّ أجرافينا، طباختي وغسالتي وخادمي في آن واحد، وأجرت معي الحديث على دهشةٍ شديدةٍ مني؛ ذلك أنني حتى هذا الصباح لم أكن قد سمعت منها غير هذه الكلمات: (ماذا يجب أن أهيىء للعشاء). إنها ممحوة دائماً، صموتٌ دائماً، حتى لأستطيع أن أقول إنها خلال ست سنين لم تنطق بكلمةٍ واحدةٍ زيادة على ذلك السؤا، بحضوري في أقل تقدير.

بدأت تقول فجأ:

- إسمع يا سيدي... هناك شيء أريد أن أطلبه منك. يحسن بك أن تؤجر الحجرة الصغيرة...

- أية حجرة صغيرة؟.

- الحجرة الصغيرة القريبة من المطبخ. أنت تعرف أي حجرة أعني.

- لماذا يحسن بي أن أؤجرها؟

- لأن هناك أناساً آخرين عندهم مستأجرون. واضح لماذا.

- ولكن من يستأجرها؟

- من يستأجرها؟

- ولكن يا ماتوشكا ليس في هذا الركن متسعٌ حتى لسرير. فمن ذا الذي يستطيع أن يعيش في هذه الحجرة؟

- هل يجب على من يستأجرها أن يعيش فيها؟ يكفي أن يكون له فيها مكانٌ للنوم... ثم هو يعيش قرب النافذة.

- أية نافذة؟

- أية نافذة؟ كأنك لا تعرف أن هناك نافذة! نافذة حجرة المدخل.

يقيم الساكن هناك ليخيط أو ليعمل شيئاً آخر. وقد يجلس على كرسي. إن عنده كرسياً وطاولة وكل شيء.

- ولكن من هو هذا المستأجر؟

- رجل طيب. رجل رأى كثيراً. وسأعد له وجبات طعامه، وسأكتفي منه بثلاثة روبلات للسكن والطعام جميعاً.

وأخيرا، بعد جهودٍ كثيرةٍ، علمت أن هناك رجلاً، متقدماً في السن، قد أقنع أجرافينا بأن تسمح له بالعيش في المطبخ مستأجراً.

وكانت أجرافينا، إذا إستقر في رأسها رأي، لا يمكن أن يخرجه منه شيء. وكنت أعلم أنها لن تدعني هادئاً مالم تحصل على ما تريد الحصول عليه. ومتى أصبح أمر من الأمور لا يجري على ما تحب، أصبحت كثيرة الوجوم، شديدة الكآبة والحزن. وكانت تبقى على هذه الحال أسبوعين أو ثلاثة أسابيع، وفي أثناء هذه الفترة يهمل

المطبخ ويضيع الغسيل، ولا تنظف الأرض، ويصير كل شيء في المسكن مقلوباً. وكنت قد لاحظت منذ زمن طويل أن هذه المرأة الصموت لا تستطيع أن تتخذ قراراً، ولا أن تستقرّ على رأي نابع من ذاتها. ولكن إذا إتفق عرضاً أن نبت في دماغها الضعيف شيءٌ يشبه أن يكون رأياً أو قراراً، فإن الحيلولة دون تنفيذ هذا الرأي أو هذا القرار يقتل روحها قتلاً إلى حين غير قصير. لذلك، ولما كنت أضع هدوئي في المقام الأول، فقد وافقت فوراً.

قلت لها:

- هل عنده أوراق على الأقل، هل عنده جواز سفر أو شيء من هذا القبيل؟.

- كيف لا؟... لا شك أن عنده كل ما يجب. هو رجل طيب، رأى كثيراً. وقد وعد أن يدفع ثلاثة روبلات...

وفي الغداة، ظهر في مسكني، مسكن الرجل العازب، مستأجر جديد. والحق أن هذا لم يسؤني، حتى لقد سرني. لقد كنت على وجه العموم أعيش في عزلة تشبه أن تكون كاملة. فليس لي أصدقاء وقلما أخرج؛ وأنا أحيا منذ عشر سنين حياة ناسك، حتى ألفت العزلة والإعتكاف. ولكن من الواضح أن عشر سنين أو خمس عشرة سنة من هذه العزلة نفسها، مع أجرافينا نفسها، في هذا المسكن نفسه مسكن العازب، من الواضح أن هذا كله يجعل الحياة باهتة لا لون لها. ولذلك فإن مجيء إنسان آخر، إنسان مسالم، هو في مثل هذه الظروف هبة من السماء.

ولقد صدقت أجرافينا، فالمستأجر الجديد كان إنساناً رأى كثيراً بالفعل. إن جواز سفره يشير إلى أنه جندي مسرَّح. على أنه كان في إمكاني أن أحزر ذلك حتى دون النظر في جواز السفر. فما أسهل أن يقدر المرء ذلك.

كان جاري الجديد آستافي إيفانوفتش إنساناً طيباً حقاً، فسرعان ما تفاهمنا. والشيء الذي أمتعني فيه بخاصة هو أن آستافي إيفانوفتش كان يجيد رواية القصص إجادة مدهشة، ولا سيما المغامرات التي شارك فيها. وواضح أن قصاصاً من هذا النوع هو في حياة فقيرة رتيبة كحياتي يمكن أن يعد كنزاً ثميناً. ولقد قصَ عليَّ في ذات مرة قصة من هذا الطراز أثرت في نفسي تأثيراً كبيراً. وإليكم المناسبة التي روى لي فيها هذه القصة.

كنت في يوم من الأيام وحدي بالمسكن، بعد أن خرج آستافي وخرجت أجرافينا لبعض شئونهما؛ فإذا بي أسمع، وأنا في غرفتي وقع أقدام شخص يدخل البيت. لا شك أن الداخل كان شخصاً غريباً. فمضيت أرى من الداخل، فإذا أنا فعلاً أمام رجل في حجرة المدخل، رجل مربوع القامة لا يرتدي إلا سترة برغم برودة جو الشتاء.

- ماذا تريد؟.

- هل الموظف ألكسندروف هنا؟.

- لا أعرف. مع السلامة.

- كيف؟ لقد قال لي البواب أنه يسكن هنا.

كذلك قال الزائر وهو ينسحب محاذراً نحو الباب:

- إذهب يا صاحبي، إذهب.

وفي الغداة، بعد العشاء، بينما كان آستافي إيفانوفتش يجرب عليَّ ردنجوتاً كان يخيطه لي، دخل أحدٌ حجرة المدخل من جديد، ففتحت الباب. فإذا أنا أرى الشخص الذي جاء بالأمس يتناول معطفي من على المشجب بهدوء، ويضعه تحت إبطه ويندفع خارجاً بسرعة. كانت أجرافينا تنظر إليه فاغرة الفم من الدهشة دون أن تفعل شيئاً لتمنع هذه السرقة.

وركض آستافي إيفانوفتش يلاحق السارق، ثم بعد عشر دقائق لاهثاً، صِفرَ اليدين. لقد إستطاع السارق أن يهرب. قال أستافي إيفانوفتش:

- لم يسعفني الحظ... على كل حال، الحمد لله على أنه ترك لي معطفي، وإلا لبقينا من غير شيء... ولكان (دبَّرنا)، تماماً... هذا اللص.

وقد بلغ آستافي إيفانوفتش من الإنصعاق لما حدث أنني حين نظرت إليه نسيت السرقة. ولم يستطع آستافي إيفانوفتش بعد ذلك أن يفيق من هول الصدمة. فهو يدع عمله في كل لحظة ويأخذ يبدىء ويعيـد متحدِّثاً عما وقع، متسائلاً كيف وقع، قائلاً: أيكون السارق أمام أعيننا، على بعد خطوتين منا، ثم يستطيع أن يسرق المعطف، ثم يعرف كيف يهرب فلا نقبض عليه؟ ويسكت أستافي ويستأنف عمله، ولكنه ما يلبث أن يدعه من جديد، ليعود إلى الكلام في الموضوع مرة أخرى. وأخيراً مضى إلى البواب يعيد سرد القصة له، ويقرِّعه على أن أموراً كهذه تقع في فناء المنزل الذي يحرسه. ثم عاد إلى أجرافينا، فقرِّعها وأنَّبها هي أيضاً ثم إستأنف عمله وهو يدمدم بين أسنانه متسائلاً كيف أمكن أن يقع هذا: (كان هو هنا، وكنت أنا ههنا... وعلى مرأى مني، وعلى بعد خطوتين مني، إستطاع أن يأخذ المعطف...)، إلخ... الخلاصة أن آستافي إيفانوفتش قد إضطرب أشد الإضطراب، وغضب أشد الغضب.

قلت له في المساء وأنا أقدم إليه قدحاً من الشاي:

- لقد عرف السارق كيف (يدبِّرنا) يا آستافي إيفانوفتش.

وكنت أريد من ذلك أن أجعله يعيد سرد حكاية المعطف المسروق، هذه الحكاية التي أصبحت مسلية، مضحكة من كثرة ما أعيد سردها، ومن عمق الصدق الذي كان يتجلى في كلام راويها.

- لقد (دبّرنا) يا سيدي. وأنا زعلان جداً، رغم أن السارق لم يسرقني أنا. لا شيء يثير حنقي كما يثيره لص يا سيدي. غيره يقترض منك، أما هو فيسرق ثمرة عملك وجهدك وعرقك ووقتك. أف... أصبحت لا أطيق التفكير في هذا الموضوع من فرط ما يغيظني... ولكن قل لي يا سيدي: كيف لا أراك غضبان؟ أتراك لا تأسف على ضياع رزقك؟.

- بلى يا آستافي إيفانوفتش. إن المرء ليؤثر أن يحرق أشياءه بنفسه على أن يدعها لسارق. حقا إن الإنسان لا يجب أن...

- لا يجب ماذا؟ ومع ذلك هناك لص ولص... هناك سارق وسارق... فأنا يا سيدي قد إتفق لي أن وقعتُ على سارق شريف...

- كيف يكون سارقاً وشريفاً؟ هل يمكن أن يكون سارقٌ شريفاً؟.

- طبعاً يا سيدي. صحيح أنه ليس هناك لص شريف... ولكنني أردت أن أقول إنه كان يلوح لي أن ذلك الرجل كان شريفاً وقد سرق. إن المرء يرثو لحاله.

- كيف حدث ذلك؟

- (وقع هذا منذ سنتين يا سيدي، في ذلك الوقت لبثت بلا وظيفة خلال ما يقرب من سنة بكاملها، وكنت في وظيفتي الأخيرة قد إنعقدت صلة بيني وبين إنسان تعيس، بائس، إنسان منهار... إلتقينا ذات يوم في خمارة. كان مدمناً، عاطلاً، كسلان... عمل خلال فترة من الوقت في مكان ما، ثم طُردَ من عمله منذ مدة طويلة بسبب إدمانه على السُكر. لقد كان إنساناً شقياً بائساً، رثَ الثياب، يرتدي أسمالاً بالية وأطماراً لا يمكن أن أصفها لك... إن المرء ليتساءل حين يراه: ترى أهو يلبس تحت معطفه قميصاً؟ كل ما كان يقع بين يديه كان ينفقه في شرب الخمرة، ولكنه لم يكن صاخباً عربيداً... كان حلو الطبع، دمث الخلق، طيباً، هادئاً كل الهدوء، لقد كان يشعر بخجل دائم، فهو شديد الحياء. كل ما هنالك أن المسكين كان يحب أن يشرب، والناس تلاحظ فيه ذلك فتتصدق عليه. وعلى هذا النحو إنما إنعقدت الصلة بيني وبينه. أعني أنه تعلق بي وتشبث بأذيالي... وأنا من جهتي كان يستوي عنده أن يكون سكيراً أو أن لا يكون سكيراً... المهم أنه إرتبط بي إرتباط كلب بصاحبه... أذهبُ إلى هنا فيتبعني... وأذهب إلى هناك فيمشي ورائي... ولم نكن قد إلتقينا إلا مرة واحدة! في أول الأمر إضطررت أن آذن له بالمبيت عندي ليلته. كان يحمل جواز سفر سليماً. قلت لنفسي: طيب... لا بأس... فليبت عندي هذه الليلة. وفي الليلة التي بعدها إضطررت أن أسمح له بالمبيت عندي أيضاً... وفي اليوم الثالث بقي النهار كله واقفاً إلى حافة النافذة... حتى إذا جاء المساء لبث للمبيت. قلت لنفسي: (لقد تعلّق بي الرجل... وسيكون علي أن أقدم له الطعام والشراب عدا المبيت... أنا رجل فقير، وهذا رجل عاطل كسلان يتعلق بي!...).

وقبل أن يتشبّث كان قد فعل هذا الشيء نفسه مع أحد الموظفين. أنشب فيه، فكانا يشربان معاً. ولكن ذلك الموظف مات لا أدري بأي مرض. كان إسم الرجل إيمليان، إيمليان إيلتش. فكرت وفكرت... ثم قلت لنفسي: ما العمل معه؟ أأطرده؟ ذلك تصرف قاسٍ، فالرجل فقير بائس. إن وضع الإنسان المنهار يحز في النفس كثيراً. وكان هو صموتاً لا يطلب شيئاً، بل يظل جالساً يحدق فيَّ كما يحدق كلب. أنظر ماذا يستطيع أن يفعله الإدمان على السُكْر بالإنسان! وفكرت مزيداً من التفكير. تساءلت: كيف أقول له إذهب يا إيمليان، فليس لك ههنا مكان، لأنك لم تقع حيث يجب أن تقع، فأنا إمرؤٌ فقير لن ألبث أن يعوزني ما أسد به رمقي، فلا أستطيع والحالة هذه أن أعيلك؟... ثم فكرت مزيداً من التفكير أيضاً، فتساءلت: ما عساه يعمل إذا قلت له هذا

الكلام؟ وتصورت النظرة التي سيلقيها عليَّ حين يسمع هذا مني؛ وتصورت كيف سيبقى جالساً زمناً طويلاً دون أن يفهم شيئاً؛ وتصورته ناهضاً عن حافة النافذة بعد أن فهم ما قلته له، متناولاً منديله الذي ما زلت أراه إلى هذه اللحظة، وهو منديل بمربعات حمراء، ممزق، كان يحمله دائماً معه ويضع فيه لا يدري إلا الله ماذا، وتصورته يعدل معطفه على جسمه ليستقر فيه استقراراً مريحاً، وليتقي به البرد مخفياً ثقوبه، لأنه إنسان حسّاس.. وتصورته يفتح الباب خارجاً إلى السلم وقد فاضت عيناه دموعاً، فقلت لنفسي: لا... لا ينبغي أن يضيع الرجل... لقد أشفقت عليه، ورثوت لحاله. ثم فكرت مزيداً من التفكير، فتساءلت: (وماذا أفعل أنا؟ ثم قلت له: (إنتظر يا إيمليان. إنك لن تبقى طويلاً عندي... فقريباً أسافر من هنا، ولن تجدني إذا عدت). وسافرنا يا سيدي. قال لي مولاي ألكسندر فيلمونوفتش _ الذي مات بعدئذ يا سيدي، رحمه الله _ (أنا راضٍ عنك جداً يا آستافي. وحين تعود، فلن ننساك. سوف نستبقيك عندنا). وكنت أنا أعمل لديهم رئيساً للخدم. لقد كان رجلاً شهماً طيباً. ولكنه مات في تلك السنة نفسها، فلما دفناه، أخذت أمتعتي وبعض المال وقلت لنفسي: (الآن سأستريح). وسكنت لدى إمرأة عجوز. إستأجرتُ عندها ركناً هو الركن الوحيد الذي كان خالياً. كانت المرأة العجوز قد عملت مربية للأطفال، وهي تملك الآن ريعاً صغيراً. قلت لنفسي: (طيب). وطبعاً كان عليَّ أن أقول أيضاً: (وداعا يا إيمليان، يا صديقي، لن تجدني بعد الآن). فهل تصدق يا سيدي؟ لقد عدت إلى البيت في ذات مساء من زيارة رفيق من رفاقي، فماذا رأيت؟ رأيت إيمليان! كان قاعداً على صندوقي، واضعاً منديله ذا المربعات الحمراء قربه. وكان يرتدي معطفاً، وينتظر... ومن أجل أن يطرد الملل كان قد إستعار من العجوز كتاباً من كتب الأدعية والصلوات أمسك به مقلوباً وجعل ينتظر... فإذا هو يراني! سقطت يداي من فرط الدهشة. قلت لنفسي: (إذاً لا مفر... لماذا لم أطرده طرداً من أول مرة؟). وأسرعت أقول له: (هل جئت بجواز سفرك يا إيمليان؟).

وجلست يا سيدي، وتساءلت إن كان يضايقني وجود هذا الأبله كثيراً؟... وبعد تفكير طويل، وبعد تقليب الأمر على وجوهه المختلفة، إنتهيت إلى أن وجوده لن يزعجني إزعاجاً شديداً. قلت لنفسي: هي كسرة خبز في الصباح، وحتى تبدو له مشهية يمكن شراء قليل من الثوم. وفي الظهر خبز وثوم أيضاً. وفي العشاء ثوم مع قليل من خمر الكفاس، فإذا أضيف إلى ذلك شيء من حساء الملفوف كان هذا عيداً لنا كلينا. وأنا لا آكل كثيراً. ومن المعروف أن من يشرب كثيراً لا يكاد يأكل شيئاً. فما هو في حاجة إلى غير النبيذ أو الخمرة. وقلت لنفسي عندئذ: (ولكنه سيدمرني بالشرب). غير أن فكرة أخرى راودتني فجأةً يا سيدي، وإستولت عليَّ عاطفة جديدة إستيلاءً تاماً. قلت لنفسي: لو ذهب إيمليان، لما طقت الحياة... لذلك قرّرت أن أكون له بمثابة أب، بمثابة محسن إليه، منعِم عليه. وسوف أنقذه، سوف أمنعه من تدمير نفسه، سوف أحمله على الإقلاع عن إدمان السُكْر. قلت بيني وبين نفسي: (إنتظر يا إيمليان... سوف ترى...). ثم أضفت أقول له: (طيب يا إيمليان.. إبقَ.. ولكن عليك بعد اليوم أن تطيعني). وعدت أقول لنفسي: (سوف أبدأ بتعويده العمل. ولكن على مهل. يجب في أول الأمر أن يتسلى قليلاً... وسوف ألاحظه، فأعرف أي نوع من أنواع العمل يستطيع أن يمارسه). وأنت تعرف يا سيدي أنه لابد، في أي نوع من أنواع العمل،

أن يكون المرء قادراً عليه، مؤهلاً له. لذلك بدأت بملاحظته ومراقبته ودراسته. ولكن جميع أوهامي ما لبثت أن تبددت. لقد بدأت في أول الأمر يا سيدي أقول له كلاماً طيباً: (إسمع يا إيمليان إيلتش... فكر قليلاً... عليك أن تعمل شيئاً ما... كفاك كسلاً... انظر إلى الأسمال الرثة والأطمار البالية التي تلبسها... إن معطفك يكاد يكون كالمصفاة من كثرة ثقوبه. لقد آن لك أن تحاول تغيير حالك!).

وكان إيمليان جالساً مطرق الرأس، يصغي إليَّ دون أن يقول شيئاً. إنه لا يعرف أن يقول كلمة معقولة. أصغى إليَّ طويلاً طويلاً طويلاً، ثم تنهد. وعندما لم يقل شيئاً، سألته:

- ما لك تتنهد؟.

فأجاب:

- لا شيء يا أستاذ إيفانوفتش... لا تقلق. هل تعلم يا أستاذ إيفانوفتش؟ لقد تضاربت إمرأتان اليوم في الشارع. كانت إحداهما قد قلبت للأخرى سلة العنب التي كانت تحملها... قلبتها عرضاً.

- طيب.

- وعندئذ ثارت ثائرة الأخرى فقلبت لها سلة عنبها وأخذت تدوسه.

- وبعد ذلك يا إيمليان إيلتش؟

- هذا كل شيء يا أستاذ إيفانوفتش... هذا ما حدث.

- هذا ما حدث؟! ولكن ما قيمة هذا؟ وما علاقتك بالأمر.

وقلت لنفسي: (مسكين إيمليان!...).

وهناك أيضاً سيدٌ سقطت منه ورقة نقدية على رصيف شارع جوروخوفايا... لا بل شارع سادوفايا... ورأى ذلك فلاح فقال: هذا من نصيبي... ولكن فلاحاً آخر كان قد رأى ذلك قال: (بل هي من نصيبي أنا... لقد رأيتها قبلك).

- وبعد ذلك؟

- بعد ذلك تضارب الفلاحان يا آستافي إيفانوفتش. فأخذ الشرطي الورقة النقدية وردها إلى صاحبها، وهدد الفلاحين بسوقهما إلى قسم الشرطة...

- طيب، ما قيمة هذا؟ أي شأن لك وأية خطورة في هذا كله؟

- لا شيء... يا آستافي إيفانوفتش... لقد ضحك الناس كثيرا.

- آه يا إيمليان... لقد بعت روحك بقرش... هل تعلم ماذا سأقول لك؟

- ماذا يا آستافي إيفانوفتش؟

- سأقول لك إن عليك أن تشغل نفسك بعمل من الأعمال. حقاً... يجب عليك أن تعمل شيئاً ما... قلت لك مائة مرة: (إرحم نفسك).

- ولكن أي عمل أعمل يا آستافي إيفانوفتش؟ لست أعلم ما الذي أستطيع أن أعمله؟ وما من أحد يريدني.

- ولماذا طردت من الخدمة؟ هه؟ لماذا طردت من وظيفتك يا إيمليان؟ إنك تشرب...

- بالمناسبة يا آستافي إيفانوفتش... إن (فلاس)، الخازن قد استدعيَّ اليوم إلى المكتب.

- لماذا استدعيَّ؟

- لا أعلم يا آستافي إيفانوفتش. ولكن ما دام قد استدعيَّ فهذا يدل على أنه كان يجب استدعاؤه.

قلت لنفسي: (آه.. لقد ضعنا كلانا يا إيمليان... إن الله هو الذي يعاقبنا على خطايانا... ما عسى يفعل المرء بإنسان كهذا الإنسان؟).

على أن إيمليان كان فتى ماكراً... كان يصغي إليَّ، ولكنه يضجر في آخر الأمر، لذلك كان إذا رآني متعكر المزاج يتناول طعامه ويغيب فلا أرى له أثراً. ويظل يتسكع طول النهار في مكان ما، ثم يعود في المساء قد أخذ منه السكر كل مأخذ. أما من الذي كان يهب له مالاً ليشرب، أما من أين كان يأتي بالمال ليشرب، فذلك أمرٌ لا يعلمه إلا الله... وليس الذنب ذنبي... قلت له في ذات يوم: إيمليان إيلتش، كفاك سكراً، هل تفهم؟ وإذا عدت إلى البيت اليوم سكراناً، فستقضي الليل كله على السلم، ولن أدعك تدخل..

وفي الغد مكث إيمليان في البيت. وكذلك فعل غداة غد. ولكنه عاد فغاب في اليوم الثالث. وإنتظرته، إنتظرته طويلاً، فلم يعد. فأخذت أشعر بقلق والحق يقال، أشفقت عليه. سألت نفسي: (ماذا فعلت؟ لقد أخفته، فأين ذهب المسكين؟ لعله لن يعود أبداً. يا رب!). وإنقضى الليل ولم يعد. فلما إستيقظت في الصباح ذهبت إلى الدهليز ونظرت فإذا هو نائم هناك، مسنداً رأسه على الدرجة الأولى من درجات السُّلم، ويكاد يكون متجمداً من شدة البرد.

- ماذا دهاك يا إيمليان؟ ما هذا يا رب! أين كنت يا إيمليان؟ لماذا أنت هنا؟

- لقد غضبت مني في ذلك اليوم يا آستافي إيفانوفتش، فقلت إنك ستدعني أنام في الدهليز... لذلك لم أجرؤ أن أدخل، ونمت هنا..

كنت أغلي من شدة الحنق وشدة الشفقة في آن واحد.

قلت له:

- ولكن كان في وسعك يا إيمليان أن تجد لنفسك عملاً آخر في حراسة السُّلم.

- أي عمل يا آستافي إيفانوفتش؟

قلت مغتاظاً أشد الغيظ:

- ولكن أيها الشقي... لو أنك تعلمت الخياطة مثلاً... أنظر إلى معطفك! إنه عبارة عن ثقب لا أكثر... لو تناولت إبرة فأخذت تسد هذه الثقوب... ويلٌ لك أيها الشقي، أيها السكير.

فلما قلت له ذلك يا سيدي تناول إبرةً، وكنت قد قلت له ذلك مازحاً. ولكنه خاف وأطاعني. فإذا هو يخلع معطفه، ويأخذ يحاول إدخال الخيط في سم الإبرة، وطبيعي أن عينيه لا تبصران جيداً. لقد كانا محمرتين إحمراراً شديداً... وكانت يداه ترتعشان. دفع الخيط، ثم دفعه فلم يدخل الخيط في سم الإبرة... وطرف عينيه، وبلل الخيط بريقه، وفتله بأصابعه... ولكن جهوده كلها ذهبت عبثاً، فعدل عن المهمة ونظر إليَّ.

- ماذا تفعل يا إيمليان؟ لقد قلت لك ذلك من أجل أن أشعرك بالخجل... كان الله في عونك... إبق عندي، ولكن دعك من الحماقات. لا تنم بعد اليوم على السلم... لا تهني...

- ولكن ماذا أستطيع أن أفعل يا آستافي إيفانوفتش؟ أنا أعلم أنني دائماً سكران، وأنني لا أصلح لشيء. ولكن يحزنني أن أغضبك أيها المحسن إليَّ...

وفجأة أخذت شفتاه الحائلتان ترتعشان، وجرت على خدِّه الأصفر دمعة. وإرتجفت هذه الدمعة لحظة على لحيته الشعثاء، ثم أخذت العبرات تتساقط من عينيه سيلاً غزيراً... مسكين إيمليان... شعرت عندئذ كأن خنجراً قد أغمد في قلبي...

قلت في نفسي:

- مسكين يا إيمليان، لن تصلح لشيء يوماً. وسوف تضيِّع نفسك. ولا داعي يا سيدي لأن أطيل قصتي، فإن القصة كلها تافهة، بائسة... لا تستحق أن يطنب المرء في سردها... أقصد يا سيدي أنك غير مستعد لأن تشتريها كلها بقرشين، أما أنا يا سيدي، فإنني مستعد لأن أدفع مبلغاً كبيراً من المال، لو كنت أملك هذا المبلغ، في سبيل أن لا يقع ما وقع... كان عندي يا سيدي سروال... لعنه الله من سروال... سروال جيد أزرق ذو مربعات... كان قد أوصاني عليه ملاك من الأرياف، ثم رفض أن يأخذه بحجة أنه ضيقٌ جداً، فبقي السروال عندي. قلت لنفسي: (هو شيء ثمين، لو بعته في سوق الثياب القديمة لجاءني بخمسة روبلات.

على كل حال أستطيع بثمنه أن أصنع سروالين لسيدين من سان بطرسبرج، وصديرة أيضاً...). وأنت تعلم يا سيدي أن كل شيء حسن لرجل غبيّ تافه من أمثالنا. ولكن حدث في ذلك الوقت أن إيمليان وقع في حالة من الهمود والخمول. نظرت فرأيته لا يشرب يوماً، ثم لا يشرب في اليوم الذي يليه، فإذا جاء اليوم الثالث كان منهاراً إنهياراً كاملاً. إن المرء ليشفق عليه، وتأخذه به رحمة. قلت أخاطبه بيني وبين نفسي: (لعلك يا عزيزي ستعود إلى جادة الصواب، وإلى طريق الرب... لعلك قد سمعت صوت العقل، فقلت لنفسك: (كفى!).

(ذلك يا سيدي ما كنا قد وصلنا إليه من حال. ويومئذ حلَّ عيد كبير. وذهبت إلى الكنيسة لصلاة الغروب.. فلما عدت إلى البيت وجدت صاحبي إيمليان قد جلس إلى

حافة النافذة وهو كالميت سُكراً. إنه جالس هناك يتهزهز. قلت: (ها... ها... مرحى... يا فتى!). ومضيت أبحث عن شيء في الصندوق. ونظرت فإذا أنا لا أجد السروال. وبحثتُ عن السروال في كل مكان فما وجدته. وبعد أن نبشت البيت كله، أيقنت أنه مفقود، فكأن خنجراً قد نفذ في قلبي. أسرعت إلى العجوز وأمطرتها بوابل من اللوم. ولكنني لم أقل شيئاً لإيمليان رغم أن حالة السكر التي هو فيها تشير إلى أنه هو الجاني.

قالت لي العجوز:

- لا يا سيدي... سامحك الله... ما عساني صانعة بسروالك... هل في وسعي أن ألبسه. ومنذ مدة سرق لي رجلٌ تنورةً... على كل حال أنا لا علم لي بشيء عن السروال.

سألتها:

- من جاء إلى البيت؟

فقالت:

- لا أحد. كنت هنا طول الوقت. وخرج إيمليان إيلتش ثم عاد... ها هو ذا، فاسأله.

قلت له:

- إيمليان، أتراك أخذت سروالي الجديد... السروال الذي تعرفه... السروال الذي خطته للمَلَّاك، ثم لم يرضَ أن يأخذه؟

- (لا يا أستاذ، لم آخذه).

قلت لنفسي: (ما هذا الأمر). ثم طفقت أبحث من جديد. لم أعثر على شيء. ولا يزال إيمليان حيث كان، جالساً في مكانه يترجَّح. وجلست هكذا، على الصندوق. ونظرت إليه على حين غفلة، فرأيتني أقول لنفسي: (إنه هو). كان قلبي يحترق. وإحمرَّ وجهي. وفي تلك اللحظة نظر إليَّ إيمليان هو أيضا. قال:

- لا يا آستافي إيفانوفتش. لم آخذ سروالك. لعلك تظن أنني... أنني... ولكني لم آخذه.

- ولكن أين ذهب إذا يا إيمليان إيلتش؟

- لا يا آستافي إيفانوفتش، لم أره...

- ماذا تقول يا إيمليان إيلتش؟ هل يمكن أن يفقد من تلقاء ذاته؟

- ربما يا آستافي إيفانوفتش...

وبعد ذلك نهضت وإقتربت منه وأشعلت المصباح وشرعت أعمل. كنت أحضر صديريةً لموظف يقطن تحت بيتنا. وكان قلبي يخفق. وكان صدري يحترق إحتراقاً. وأحسَّ إيمليان الغضب قد إستولى عليَّ، وأحسَّ بأن الشرَّ آتٍ من بعيد، كما يحس الطائر في السماء بهبوب العاصفة.

قال إيمليان بصوت مضطرب:

- هل تعلم يا آستافي إيفانوفتش؟ لقد تزوج آنتيب بروفورفتش اليوم بإمرأة الحوذي الذي مات منذ مدة قصيرة...

نظرت إليه، ربما في شيء من غضب. ففهم، ونهض، وإقترب من السرير، وأخذ يبحث عن شيءٍ ما. كنت أراقبه. ظل ينبش مدة طويلة، ويدمدم في الوقت نفسه قائلاً: لا أجد شيئاً، فأين إختفى السروال إذاً؟ سأرى... وإندس إيمليان تحت السرير. فلم أعد أطيق صبراً، فقلت:

- ماذا دهاك يا إيمليان، ما لك تجر نفسك هذا الجر على ركبتيك؟

- أبحث عن السروال... فلعله يكون تحت السرير... لعله سقط تحت السرير.

- ولكن يا سيدي (قلت له يا سيدي من شدة الحنق)، لماذا تحمل نفسك كل هذا العناء في سبيل إنسان مسكين مثلي، وتتعب ركبتيك؟

- ولكن يا آستافي إيفانوفتش... أنا... ما... لا شيء. لعلنا واجدوه في مكان ما إذا نحن أحسنا البحث والتفتيش.

قلت:

- اسمع يا إيمليان إيلتش.

- ماذا يا آستافي إيفانوفتش؟

- أغلب ظني أنك سرقته وانتهى الأمر، كما يفعل لص أو سارق، لتشكرني.

(إلى هذه الدرجة غَضِبتُ يا سيدي حين رأيته يزحف فوق أرض الغرفة).

- لا يا آستافي إيفانوفتش.

وظل راقداً تحت السرير، لبث هناك زمناً طويلاً. ثم خرج.. نظرت إليه. فإذا هو مصفَّرُ الوجه إصفراراً شديداً. ونهض فجلس على حافة النافذة، وظل على تلك الحال قرابة عشر دقائق. ثم قال:

- لا يا آستافي إيفانوفتش.

ونهض فجأةً، حزيناً كخطيئة، ودنا مني (ما أزال أراه في خيالي إلى الآن)، وقال لي:

لا يا آستافي إيفانوفتش، لم آخذ سروالك، وكان يرتعش، وكان يلطم صدره، وكان صوته يختلج متهدجاً، أخذت حاله تخيفني، قلت:

- طيب يا إيمليان إيلتش. لا تتحدث في هذا الأمر بعد الآن. سامحني إذا كنت قد عاتبتك خطأً، ووجهتُ إليك اللوم كما يفعل غبي أحمق. سحقاً للسروال، لن نموت من ضياع السروال، إن ولله الحمد، لدينا أذرع تعمل، فلن نسرق، ولن نستعطي صدقة من غريب، من إنسان مسكين، وسنكسب رزقنا بكدِّ يميننا وعرق جبيننا...

كان إيمليان يصغي إليَّ واقفاً أمامي. ثم جلس. ولبث على هذه الحال طوال السهرة لا يتحرك. وقد رقدت على سريري حين كان لا يزال جالساً في ذلك المكان نفسه لا يتزحزح عنه. وفي الصباح فقط إنما رأيت أنه كان قد تمدد على الأرض العارية متلفعاً بمعطفه وحده. لقد أبى حتى أن يضطجع على السرير.

ومنذ ذلك الحين يا سيدي أصبحت لا أحبه. حتى إنني في اليوم الأول قد كرهته. لكأن إبني قد سرقني، بل وأهانني وشتمني. كنت أقول لنفسي: (ويل لك يا إيمليان!). أما هو، يا سيدي، فقد ظل أسبوعين كاملين لا ينقطع عن الشراب. صار كالمسعور إدماناً. فما إن يطلع الصباح حتى يخرج، ثم لا يعود إلى البيت إلا في الليل. ولم أسمعه ينطق بكلمة واحدة خلال هذين الأسبوعين. لعل الألم كان يحز في نفسه، فهو يشرب ليطيش عقله ويغرق في ألمه. وأخيراً انتهى الأمر. إنقطع إيمليان عن السكر. لعله أنفق كل ما كان معه. وها هو ذا يستقرُّ على حافة النافذة. أذكر أنه ظل جالساً صامتاً ثلاثة أيام بأسرها! وكيف؟ كانت عيناه أشبه بينبوع يا سيدي، حتى كأنه لا يشعر هو نفسه بتدفق دموعه. ما أشد ما يؤلم نفس المرء يا سيدي أن ترى رجلاً مسناً، شيخاً مثل إيمليان، يبكي حزناً وألماً.

قلت له:

- ما بك يا إيمليان؟

كان يرتعش من قمة رأسه إلى أخمص قديمه. لم أكن قد خاطبته بكلمة واحدة منذ إفتقاد السروال.

قال:

- لا شيء يا آستافي إيفانوفتش.

- كان الله في عونك يا إيمليان! ليضع كل ما يمكن أن يضيع، ولكن لماذا أنت جالس هذه الجلسة كبوم.

لقد آلمني وضعه.

قال:

- هكذا يا آستافي إيفانوفتش... لا يمكن إستمرار هذا... وإنما أريد أن أجد عملاً ما...

- أي عمل يا إيمليان إيلتش؟

- لا فرق عندي... لعلني أجد وظيفة ما، كما كنت في الماضي. لقد ذهبت إلى فيدوسي إيفانوفتش... ليس يحسن أن أكون عالةً عليك يا آستافي إيفانوفتش... ولعلني أرد إليك كل شيء إذا أنا وجدت عملاً... نعم أرد إليك كل شيء... حتى ثمن الخبز سأرده إليك...

- كفى يا إيمليان، كفى!... لقد مضى ما مضى فلا تتحدثنَّ فيه بعد الآن. ولنعش كما كنا نعيش من قبل.

- لا يا آستافي أيفانوفتش... ربما كنت أنت... لا تزال... ولكنني لم آخذ سروالك.

- طيب. إتفقنا. كان الله معك يا إيمليان...

- لا يا آستافي إيفانوفتش... طبعاً لم يعد في إمكاني أن أعيش عندك... يا أستافي إيفانوفتش...

قلت:

- ولكن من ذا الذي يطردك من هنا يا إيمليان، حرسك الله؟ أأنا طردتك؟

- لا... ولكن لا يليق أن أعيش عندك كما أعيش الآن يا آستافي إيفانوفتش... الأفضل أن أنصرف..

ذلك ما قاله حزيناً يهين نفسه... وظل يردد هذا الكلام نفسه... ثم إذا هو ينهض فعلاً وأخذ يرتدي معطفه.

- ولكن إلى أين تذهب يا إيمليان؟ إسمع يا إيمليان! إلى أين عساك تذهب؟...

- لا يا آستافي إيفانوفتش. وداعاً. لا تحاول أن تبقيني عندك. أنا ذاهب يا آستافي إيفانوفتش. أنت لست الآن كما كنت من قبل.

قال ذلك وقد طفق يبكي من جديد.

قلت:

- لماذا تظن أنني لست الآن كما كنت من قبل؟ أنا لم أتغير... أنت الذي تغيرت فأصبحت غبياً كطفل. إذا عشت وحدك فستهلك يا إيمليان إيلتش.

- لا يا آستافي إيفانوفتش... أنت الآن تقفل صندوقك حين تخرج. وأنا أرى هذا فأبكي. لا... دعني أنصرف. ذلك أفضل يا آستافي إيفانوفتش. وسامحني إذا كنت قد أسأت إليك.

وإنصرفَ يا سيدي. إنتظرت يوماً، فيوماً آخر.. قلت لنفسي: (لا بد أنه عائدٌ هذا المساء). ولكنه لم يعد. وإنقضى اليوم الثالث، ولم يعد أحد. خفت، إستبد بي القلق، أصبحت لا أشرب ولا آكل ولا أنام. إنهارت نفسي تماماً، ومضيت في اليوم الرابع أبحث عنه. لم أدع خمارةً إلا وذهبت أبحث عنه فيها. وسألت نفسي: أتُراه تاه! وقلت لنفسي: (لعله سقط ميتاً في مكان ما من فرط السكر، فهو يرقد الآن جثة نتنة!). وعدت إلى البيت مضطرباً، لا أنا بالحي ولا أنا بالميت. وقررت في الغداة أن أمضي باحثاً عنه. ولعنت نفسي لأنني تركت هذا الأحمق ينصرف من الفجر تقريباً من اليوم الخامس (وكان اليوم يوم عيد) صرَّ الباب... فنظرت فإذا إيمليان يظهر... إنه هو الذي يدخل! كان مزرقَّ اللون، متسخ الشعر، كأنه طوال فترة غيابه نام في الشارع، وكان هزيلاً، ضامراً كمسمار.

خلع معطفه، وجلس على صندوقي ونظر إليَّ. كنت سعيداً بعودته، إلا أن نوعاً من القلق والخوف كان يخنق نفسي أكثر من ذي قبل. أقصد يا سيدي أنه لو وقع لي أنا

أمر من هذا القبيل لآثرت أن أفطس كما يفطس كلب على أن أعود هذه العودة. أما إيمليان فقد عاد. لا شك أنه يؤلم المرء أن يرى إنساناً على مثل هذه الحال. لذلك أخذت أواسيه، وأعزيه، وأدلله.

قلت:

- هيه يا إيمليان. يسعدني أنك رجعت. ولو تأخرت قليلاً لمضيت أبحث عنك اليوم أيضاً في الخمارات. هل أكلت؟

- أكلت يا آستافي إيفانوفتش.

- حقا؟ إسمع يا صديقي... لقد بقي بعض الحساء من أمس. إنه مرق. وإليك خبزاً وثوماً، فكل، وما هذا كله بكثير.

قدمت له الطعام، فلاحظت عندئذٍ أنه لم يأكل شيئاً منذ ثلاثة أيام، وذلك من شدة إقباله على الطعام وشراهته في إلتهامه. معنى هذا أن الجوع هو الذي إضطره إلى الرجوع. رق قلبي له، وترأفت به. نظرت إليه وقلت لنفسي: (سأذهب إلى خمارة فأجيئه بقليل من الخمر، ثم نتصالح). وقلت له: كفى يا إيمليان... لم يبق في نفسي شيء من زعل. وجئته بالخمرة، وقلت له:

- هاك يا إيمليان... فلنشرب قليلاً بمناسبة العيد... هل لك بقليل من الخمرة؟ بقليل من الخمرة تصحّ الأبدان!

فمد يده يتناول القدح بشراهة. ها هو ذا يمسك القدح، ويهم أن يفرغه في جوفه، ولكنه لا يلبث أن يتوقف على حين فجأة. كان القدح يرتعش في يده... وها هو ذا يرد القدح إلى المائدة...

- ماذا بك يا إيمليان؟

- لا... يا آستافي إيفانوفتش...

- ماذا؟ ألا تريد أن تشرب؟

- ولكنني... يا آستافي إيفانوفتش... لن أشرب بعد اليوم قط...

- ماذا؟ أتريد أن تنقطع عن الشراب تماماً، أم تريد أن تنقطع عن الشراب اليوم فحسب؟

صمت إيمليان. ونظرتُ إليه، فرأيته يضع رأسه بين يديه.

قلت:

- ماذا بك يا إيمليان؟ أأنت مريض؟

- نعم... أشعر بأنني مريض.

أرقدته على السرير. ونظرت. كانت حالته سيئةً حقاً. إن رأسه محترق بالحمى. ولبثت قربه طول النهار. وإزدادت حاله سوءاً أثناء الليل.

صنعت خليطاً من خمرة الكفاس والزبدة والثوم، وأضفت إلى الخليط قطعاً صغيرةً من الخبز، وقلت له:

- إليك هذا يا إيمليان. حاول أن تأكل قليلاً... فلعل ذلك أن ينفعك.

هزَّ رأسه رافضاً وقال:

- لا.. لن آكل اليوم.

وحضَّرت له شيئاً من الشاي. كانت العجوز متعبة. لم يتحسَّن حاله. قلت في نفسي: (عبث... إن حالته سيئة).

ومضيت في اليوم الثالث أبحث عن طبيب. كنت أعرف طبيباً اسمه كوستوبرافوف. عرفته حين كنت أعمل عند أسرة بوسامياجين، وكان قد عالجني من مرض ألمَّ بي. جاء الطبيب، فبعد أن فحص المريض قال: (نعم إن حالته سيئة... ولم يكن ثمة ما يدعو إلى إحضاري... على كل حال يمكن أن نصف له سفوفاً...).

والحق أنني لم أجرِّعه السفوف... وكنا في اليوم الخامس: (إنه راقدٌ هناك، أمامي، يشارف على النهاية من حياته. وكنت جالساً على حافة النافذة أخيط. وكان قلبي ينفطر ألماً حين أنظر إليه. وكنت أعلم أنه ينظر إليَّ... كنت أحسُ منذ الصباح بأنه يريد أن يقول لي شيئاً ولكنه لا يجرؤ... وأخيراً نظرت إليه أنا أيضاً. فقرأت في عيني المسكين قلقاً رهيباً. إنه لا يحول بصره عني. ولكنه حين لاحظ أنني نظرت إليه أشاح بعينه.

- آستافي إيفانوفتش!

- ماذا يا إيمليان؟

- إذا بيع معطفي مثلاً، فهل يجيء بثمن كبير؟

- لا أدري يا إيمليان. قد يُباع بثلاثة روبلات.

كذلك قلت له يا سيدي. ولكن الواقع أن المعطف لا يمكن أن يباع بكوبك واحد. ولو عرضت على أحد أن يشتريه لظنَّ أنك تضحك عليه وتسخر منه وتحقِّره، إذ تريد أن تبيعه قاذورة كهذه القاذورة. وإنما قلت لإيمليان إن المعطف قد يباع بثلاثة روبلات مواساةً له لا أكثر... وأجابني إيمليان قائلاً:

- لقد قدَّرت يا أستافي إيفانوفتش أنه سيباع حتماً بثلاثة روبلات. ذلك أنه من جوخ يا آستافي إيفانوفتش. فكيف تقول إنه (قد) يباع بثلاثة روبلات... كيف تشك في أنه سيباع بثلاثة روبلات قطعاً؟...

قلت:

- لا أدري يا إيمليان إيلتش. ولكن إذا أردت أن تبيعه، فيجب أن تطلب ثمناً له ثلاثة روبلات على الأقل... حتماً...

وبعد صمت قصير، ناداني إيمليان مرة أخرى:

- آستافي إيفانوفتش!

- ماذا يا إيمليان؟

- حين أموت عليك أن تبيع معطفي. فليس من الضروري أن أدفن به. سأبقى من دون... إن للمعطف قيمة... إن من الممكن أن يستفاد منه... إنقبض قلبي يا سيدي إنقباضاً لا أستطيع أن أصفه لك. رأيت الخوف الذي يسبق الموت. وصمتنا من جديد. وإنقضت ساعة كاملة على هذه الحال... ونظرت إلى إيمليان، فرأيته ينظر إليَّ هو أيضاً. فلما إلتقت نظراتنا خفض عينيه من جديد.

- هل تريد أن تشرب قليلاً من الماء يا إيمليان إيلتش؟

- نعم... إسقني ماء يا آستافي إيفانوفتش... بارك الله فيك..

ناولته ماءً، فشرب وقال:

- شكراً يا آستافي إيفانوفتش.

- ألا تريد شيئاً آخر يا إيمليان إيلتش؟

- لا يا آستافي إيفانوفتش... لا شيء... ولكن...

- ماذا؟

- ولكن...

- ماذا يا إيمليان؟

- شيء واحد أريد أن أقوله... السروال... أنا أخذت السروال يا آستافي إيفانوفتش...

- طيب يا إيمليان... عفا الله عنك أيها المسكين، ولتنم هادئ البال مطمئن النفس...

كان صدري أنا يختنق يا سيدي... وسالت على خديَّ دموع.

وتحولت ببصري عن إيمليان...

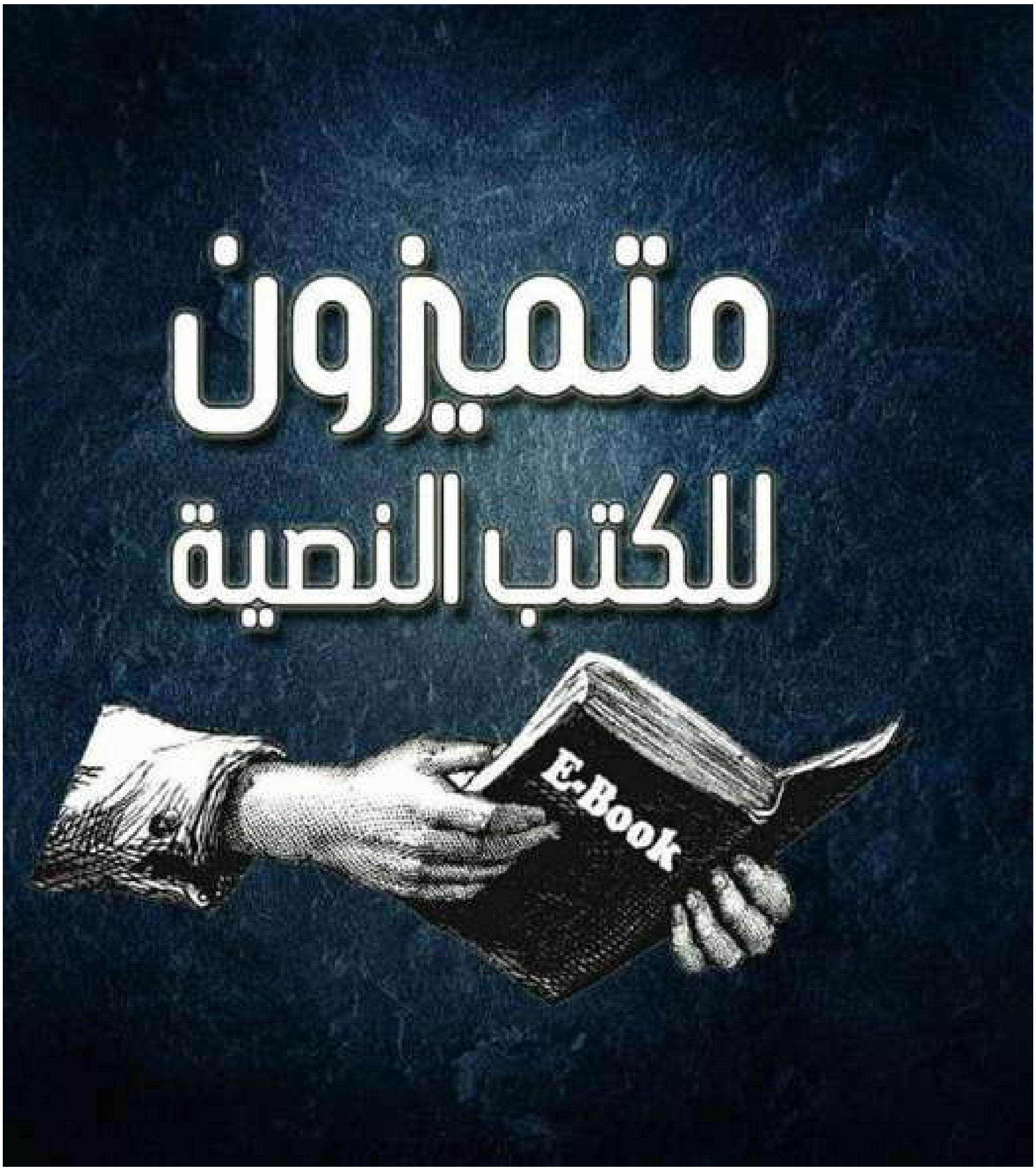
- آستافي إيفانوفتش!...

هكذا ناداني، فنظرت إليه، فرأيت أنه يريد أن يتكلم. إنه يبذل جهوداً ويحرك شفتيه... وفجأة إحمر إحمراراً شديداً ونظر إلي. فما هي إلا لحظةٌ قصيرةٌ حتى إصفر إصفراراً شديداً، شديداً، شديداً... ورمى رأسه إلى وراء، وتنفّس تنفساً عميقاً، وردَّ روحه إلى الله...).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة